الْقَطْفُ الدَّاني مِنْ عَلمِ الْمعَانِي

جمَعَها وشَرَحَها

أبَو عَائِش محمد سَمِيح فَاضِل فَضْل الشَّيْخ

– حفظه الله –

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل، ومَن يُضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: -

فهذا لقاءٌ جديد من لقاءات هذه الدورة الشهرية المباركة دورة **رسالتان في يوم.**

واليوم إن شاء الله هو يوم اللغة العربية.

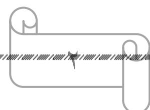
اللغة العربية بها علوم كثيرة، وعلومها وعلوم القرآن كاللُّحمة الواحدة، لا يُستغنى بأحدهما عن الآخَر، فلا غِنى لطالب العلم عن لغته العربية؛ إذ إنه يحتاج هذه اللغة الشريفة من أجل تحقيق العبادة وتصحيح المعتقد وتلاوة القرآن، وفَهم النصوص الشرعية، فواجب عليه أن يتعلم اللغة العربية بفروعها من صرف ونحو وبلاغة ومعاجم وأدب وغير ذلك؛ والقاعدة في ذلك: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وهذه الحاجة -أعني تعلم اللغة- وإن لم تتأكَّد في العصور الأولى، لعدم حاجتهم إلى تعلمها، فإنهم كانوا يعرفون ذلك بالسليقة، فهم عرب أقحاح، فنحن في هذه الأزمان أشد ما نكون حاجة لأن نتعلم لغتنا الجميلة العريقة.

وحسبك أن تعلم أن كثيرًا من الخلل والفساد في العبادة والمعتقد و السلوك ينشأ من الجهل بلغة العرب.

ولذلك قال أبو عبيد: سمعت الأصمعي يقول: سمعت الخليل بن أحمد يقول: سمعت أبا أيوب السختياني يقول: عامَّة من تزندق بالعراق لقلة علمهم بالعربية.

وقال غيره من السلف في أهل البدع في بيان سبب وقوعهم في البدع: أصابتهم العُجمة، أي لجهلهم بلغة العرب.



والذي يطالع كُتب السلف المتقدمين في الرد على أهل الزيغ والضلال يجد أن كثيرًا من الردود تقوم على بيان جهل هؤلاء بلغة العرب.

فمن طالع مثلًا الإبانة الكبرى لابي عبد الله ابن بطة، أو الشريعة لأبي الحسين الآجري، أو رد الإمام الدارمي على بِشر المريسي، وغير ذلك من مطولات كتب الاعتقاد يجد أنهم أسسوا شيئاً من ردودهم ببيان جهل أهل البدع بلغة العرب.

فلغة العرب فضلها عظيم، لا تنفك عن القرآن، بل عن علوم الشريعة، فهي كما قلنا: كاللُحمة الواحدة.

بل يكفي أن نعلم أن لغة العرب حجة شرعية فيما يُرجع فيه إلى اللغة؛ فإن لم يكن الأمر قد حُدَّ شرعًا أو عُرفًا، فإنه يُرجع في ذلك إلى حده في لغة العرب، ويكون ذلك حُجة.

والرسالة الأولى في هذا اليوم في علم من علوم البلاغة وهو علم المعاني، بدأها مَن جمعها وكتبها غفر الله له بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل، ومَن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: -

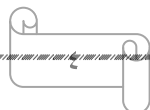
فقد قالوا: شرف العلم من شرف المعلوم، وما نالت اللغة العربية تلك المنزلة العالية إلا بشرف الوحي المنزل بها، وهي القرآن الكريم كلام الله تعالى ووحيه إلى خاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم، فبه ارتقت العربية وعلت.

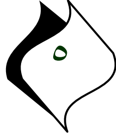
فعن عثمان ﷺ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه»، أخرجه البخاري، فهذه الخيرية لا يتحقق كمالها إلا بالوقوف على معاني القرآن وأسراره التي لا تخلق من كثرة التأمل والتدبر.

ولا يمكن أن يوصل إلى أحكام القرآن الكريم وفهم دقائقه ومعانيه، وفقه لغته والعلم بها، وضبط قواعده، والوقوف على معانيه وبيانه وبديعه، ومعرفة مفاتيح التنزيل إلا باللغة العربية.

وكذلك الأمر في معرفة أقوال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ هو أبلغ البلغاء، فاللغة العربية آلة الوصول لتلك الغايات الجليلات.

وذروة سنام اللغة ولُبها وتاجها وجوهرها البلاغة، وقد عدَّها العلماء علمًا قرآنيًا، لأن نشأتها أساسًا كانت في أحضان فَهم التنزيل، وإدراك أسباب الإعجاز، ومعرفة طرقه ومسالكه.





فيُعتبر القرآن الكريم الذي هو الوحي المتلو ذروة سنام الفصاحة، فمن عرف إعجازه ومسائله ودقائقه وقواعده، كان أعلم بما دونه من الفصاحة.

ويلي القرآن في الفصاحة سُنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي هي الوحي المعنوي، أي أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يوحى إليه وكان يُعبِّر بألفاظه، وكلاهما بلسان عربي مبين، فمن أراد تعلم الوحيين فعليه تعلم العربية.

ثم يلي الوحيين كلامُ العرب، وإدراكه أيضًا لا يتم إلا بتعلم العربية بعلومها المختلفة، ومنها علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، والمنتقى من هذه العلوم الثلاثة في هذا الدرس هو علم المعاني.

وبدايةً ينبغي أن نعلم ما معنى البلاغة؟

قالوا: البلاغة مأخوذة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، كما ورد في اللسان.

وسميت البلاغة بذلك: لأنها تنتهي وتبلغ بالمعنى إلى قلب سامعه فيفهمه.

وحد وصف المرء بالبليغ أن يضع الكلام في مواضعه المناسبة لمقتضى الحال من ذِكر أو حذف، وإطناب وإيجاز وتقديم وتأخير وغير ذلك مع مراعاته لمقتضى الحال، وتأدية المعنى بصورة واضحة و بعبارة فصيحة.

إذًا البلاغة فن قولي يعتمد على القول، فالمعاني -كما قالوا-: مُلقاة في الطريق، والبليغ يُعبِّر عن تلك المعاني بألفاظه وبتراكيبه.

فأقول لك مثلًا: تكلم عن عُرس حضرته، أو عن مأتم حضرته، أو عن مناسبة لا تنساها؟ فأنت تُعبِّر بأسلوبك، وأنت تُعبِّر بأسلوبك، وأنت تُعبِّر بأسلوبك، وهكذا، كلٌّ منكم يعبر بأسلوبه، والبليغ منكم هو الذي يؤدي المعنى أداءً واضحًا بيِّنًا يجذب النفس ويأتي على المضمون.

فالبلاغة أولًا وآخرًا كما قلنا: فنٌّ قولي.

وإذا أراد المرء أن يكون بليغًا فعليه بأمرين:

● الأمر الأول والأساس: أن يُكثر من قراءة كتاب ربه، يُسمع نفسه أو غيره مع تدبره لمعانيه الشريفة.

● الأمر الثاني: أن يقرأ قراءة عميقة لروائع الأدب، وأن يحفظ ما يستزيده من ذلك.

● الأمر الثالث: أن يمرِّن نفسه على التعبير من وقت لآخَر عمَّا يجول في خاطره، فيكتب قصة قصيرة، أو يُعبِّر عن شيء حدث له، أو يحاول أن ينظم شِعرًا، فبهذا تتأتَّى الأمور لصاحبها.

وأما البلاغة في الاصطلاح: فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحالِ مع فصاحته.

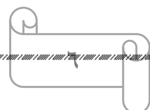
فمطابقة الكلام لمقتضى الحال هو ما سماه عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز بالنظم.

وأما مقتضى الحال أي أن حال التعبير يختلف تبعًا لتفاوت مقام الكلام، فأحيانًا يحتاج الأمر أو الحال أن يكون الكلام فيه ايجاز وحذف، وأحيانًا يحتاج إلى اطناب، كما سنرى في بلاغة القرآن، فالقرآن عند حديثه وبيانه للعرب وللبدو نجد الإيجاز سِمة آياته البينات.

وأما عند حديثه وبيانه ومجادلته لأهل الكتاب نجد الإطناب وإيراد الحجج والبراهين لِمَا عندهم من شُبه لائحاً أمامنا.

فالبلاغة إذاً مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

ما الفصاحة؟



الفصاحة في أصل وضعها اللغوي تدل على الظهور والبيان، فيقال: أفصحَ فلانٌ عمّا في نفسه، يعني أبان وأظهر ما في نفسه.

والفصاحة تكتنف أمرين:

إذا أراد المرء أن يكون فصيحًا فلا بد أن ينظر في أمرين:

● أما الأمر الأول فلا بد أن ينظر في المفردات التي يأتي بها، فهذه المفردات التي هي أساس التراكيب والجُمل تكون فصيحة إذا خلت من أمور ثلاثة:

▪أما الأمر الأول: من تنافر الحروف:

فهناك حروف إن اجتمعت مع بعضها تجد ثِقلًا في النُطق بها، فلا تستطيع أن تنطقها مرة واحدة، ولكن لا بد أن تتأنَّى وأن تُجزِّأ الكلمة، ومثَّلوا ذلك بقول امرئ القيس، حين وصف شَعرَ حبيبته:

غدائرُه مُسْتَشْزِراتٌ إلى العُلا ... تَضِلّ العِقَاصُ فِي مُثَنًّى وَمُرْسَلِ

هل تستطيع أن تنطق هذه الكلمة (مُسْتَشْزِراتٌ) دفعة واحدة دون تمهُل؟

بعض علمائنا علَّق على ذلك فقال: هذا متنافرٌ باعتبار عصرنا والعُجمة التي أصابتنا، أما عندهم فلم يكن الأمر كذلك.

المهم أن هذا شاهد يكثر إيراده في مثل هذا الموضع، ولذلك لا تجد مثل هذه الكلمات في كتاب الله تبارك وتعالى.

وكذلك قالوا: لم يأتِ في القرآن جمع كلمة الأرض، بخلاف السماوات، فتجدها دائمًا مفردة، فلما أراد الله ﷻ -هكذا قالوا-: أن يأتي بها مجموعة، قال: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، لم يقل والأرضون، أو والأرضين.

فالأمر الأول في فصاحة اللفظة أن تخلو من تنافر الحروف.

▪والأمر الثاني: ألا تكون هذه اللفظة غريبة، والمقصود بالغرابة هاهنا: أن يكون لها أكثر من معنى، فإذا أردت أن تخرِّج المعنى الذي أراده الكاتب لا تستطيع، فلا بد أن يأتي بلفظة واضحة يستطيع المرء أن يقف من خلالها على المعنى المراد.

وكذلك ينبغي ألا تخالف تلك اللفظة القياس اللغوي، أي في الاشتقاق والصرف، كما قال بعضهم:

الحَمدُ للهِ العليّ الأجْلَلِ .... الواسع الفضل الوهوب المجزِلِ

فالأصل أن يقول: الحمد لله العلي الأجلِّ، فالأصل أن يُدغم، ففك الإدغام، فهذا خلاف القياس.

إذًا فصاحة اللفظة لا بد أن تخلو من أمور ثلاث:

من تنافر الحروف، ومن غرابة اللفظ، ومن مخالفة القياس اللغوي.

وأما فصاحة الكلام والتركيب فهو أن يخلص وأن يسلم الكلام من ثلاثة أمور:

▪ ضعف التركيب: أي ألا يكون التركيب ضعيفاً ركيكًا، كمثل عود الضمير على متأخرٍ لفظًا ورتبة، فالأصل في الضمير أن يعود على متقدم في اللفظ والرُتبة، فإن عاد على متأخر فهذا ضعف في التأليف، كقول القائل:

جفوني ولم أجف الأخلاءُ إنني .... لغير جميل من خليلي مهمل

فتأخر مفسر الضمير (الأخلاء)، فعاد الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، وهذا ضعف في التأليف و مخالف للغة العرب ولقواعد النحو.

وكذلك تنافر الألفاظ المتقاربة في مخرج حروفها، فتجد الألفاظ لسبب قرب حروفها من بعض تتنافر، لا تستطيع أن تنطق بها سريعًا، لكن لا بد من التأني.

كما مثَّلوا بهذا البيت:

وقبرُ حربٍّ بمكان قَفر ❋ وليس قربَ قبرِ حربٍ قبُر

قالوا: إن هذا البيت لثقله بقرب مخارج حروفه لا يكاد يقوله أحد ثلاث مرات متصلة من غير تتعتع

وتجد عند العوام يقولون مثلًا: خيط حرير على حيط خليل.

لو أردت أن تكررها أكثر من مرة بشكل سريع لن تستطيع.

فهذا كذلك من عدم الفصاحة لتنافر الألفاظ.

وكذلك خلوه أي خلو التركيب من التعقيد مع فصاحة الألفاظ، يعني قد يكون اللفظ فصيحًا، ولكن لا تستطيع أن تُدرك المعنى لبُعده، فإذا قال المرء مثلًا:

نشر الملك لسانه أو ألسنته في المدينة، وهو يريد بذلك أنه نشر جواسيسه، فهذا المعنى بعيد جدًا، لماذا؟

لأن الذي يريد أن يعبِّر عن الجواسيس يعبِّر بالعين لا باللسان.

المهم أن فصاحة الكلام لا بد أن تخلو من هذه الأمور الثلاثة: ضعف وتأليف وكذلك تنافر الألفاظ، ومن التعقيد حتى لو كانت الألفاظ واضحة فصيحة.

وأما علم البيان فهو أحد هذه الفروع الثلاثة المدروسة في علم البلاغة، مع علمي المعاني والبديع.

فعلوم البلاغة ثلاثة: المعاني والبيان والبديع.

فالمعاني سيأتي، وأما البيان فهو علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد في صور مختلفة.

أي: يستطيع المرء من خلاله أن يُورِد المعنى الواحد في صور مختلفة، يستعمل في ذلك التشبيه والمجاز، الكناية، الاستعارة.

وعرفه الجاحظ بقوله في البيان والتبيين قال: والبيان: اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى.

وعلم البديع علم يُعرف به وجوب تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة.

يعني لا يُراعى في الكلام أن يأتي في صورة حسنة من الطباق والمقابلة والتورية والجناس وغير ذلك فقط، لكن لا بد أن ينضم إلى هذه الأمور مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأن يدل دلالة واضحة على المراد.

وعلم البديع له فروع كثيرة: منها: الطباق والمقابلة والتورية والجناس والسجع واللف والنشر، ورد العجز على الصدر، إلى غير ذلك من الفروع.

وأما علم المعاني: فقلنا: إنه أحد علوم البلاغة الثلاثة، وقد كانت هذه العلوم في بداية الأمر غير منفصلة. كانت قبل أن يفصلها عبد القاهر الجرجاني ويقعِّدها ويجعلها في علوم مستقلة كاللحمة الواحدة، تُبحث في علم واحد وفي باب واحد، غير منفصلة وهو علم البلاغة.

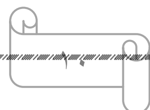
وتجد هذا في كتب المتقدمين كمعاني القرآن للفراء، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وكذلك إعجاز القرآن للخطابي، وإعجاز القرآن للباقلاني، إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو من علماء القرن الخامس، فوضع نظرية مستقلة لعلم المعاني في هذا الكتاب وهو كتاب دلائل الإعجاز.

وكذلك وضع نظرية مستقلة لعلم البيان في كتابه أسرار البلاغة، وكل من جاء بعده كانوا عيالًا عليه، فكل من ألَّف في هذا الباب كالزمخشري والسكَّاكي، والخطيب القزويني، وغير هؤلاء إنما ساروا في ركاب عبد القاهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقلنا في بداية حديثنا: إن هذا العلم ما وُضع لمجرد البحث العلمي والترف، وإنما وُضع ابتداءً لمعرفة إعجاز القرآن ومعرفة إعجاز كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكلامه مُعجز كالقرآن.

وكذلك أراد العلماء أن يطَّلعوا على أسرار اللغة العربية، وما ورد في كلام العرب من أشعار ونثر وغير ذلك.

هذا العلم ما معناه؟



علم المعاني: هو أصول وقواعد يُعرف بها أحوال الكلام العربي، التي يكون بها مطابقًا لمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له.

إذًا من هذا الحد نستطيع أن نقول: إن علم المعاني مبناه على أمرين:

أما الأمر الأول: فهو وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين، من تكلم كلامًا لا بد أن يكون كلامه مطابقًا لحال السامعين، فهل السامع خالي الذهن؟ أم أن عنده شكاً؟ أم هو مكابر معانِد؟

فالكلام مع الأول، يختلف عن الكلام مع الثاني، يختلف عن الأخير.

فإنك إذا أردت أن تُلقي كلامًا لخالي الذهن لن يكون هو نفس الكلام الذي تلقيه للمعاند أو للشاك، لا بد من أدوات، ومؤكدات.

كذلك ينبغي أن يراعي المتكلم حال السامع، هل هو من العوام، هل هو من الفصحاء، أن يراعي مزاجه.

ولذلك عابوا على جرير لمَّا مدح عبد الملك بن مروان فقال في بداية مدحه:

أتصحو أم فؤادُك غير صاحٍ؟!

أول ما بدأ المدح، قال له: أتصحو أم فؤادك غير صاحٍ، فغضب عبد الملك، وقال: بل فؤادك أنت، فهذا ليس بمدح، هذا أشبه بالهجاء.

وكذلك على المتكلم أن يراعي حال السامع من الإيجاز والإطناب، فمن الناس من تكفيه الإشارة واللمحة، يفهم بالكلمة والكلمتين.

ومن الناس من لا بد في خطابه من الإطناب في القول، لا بد أن تُعيد الكلام وأن تزيد، وأن تبين المراد بأكثر من صورة، كما هو الحال في القرآن مع أهل الكتاب.

إذًا أول مبحث يدور عليه علم المعاني: أن يكون الكلام مطابقًا لمقتضى الحال.

وكذلك مما يُبحث في هذا العلم –وهذا هو الشق الثاني كما سنرى في مباحث هذا العلم– أن تعلم أن هناك من الكلام ما له معنى بأصل وضعه.

فعندنا الأمر، فالأمر له معنى في أصل وضعه وهو: طلب إيجاد الفعل على وجه الاستعلاء.

وعندنا الاستفهام وله معنى في أصل وضعه اللغوي، التمني له معنى في أصل وضعه اللغوي.

وقد يكون له معنىً آخر، هذا المعنى يُستفاد من السياق والقرائن، فليس كل أمرٍ ورد في كلام العرب في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقول فيه: إن الأمر هاهنا يقتضي الوجوب، أحيانًا تقول: يقتضي الإرشاد، أحيانًا تقول: يدل على السخرية، أحيانًا تقول: يدل على التعجيز، مع أن الصورة واحدة افعل.

فهل تستفيده من أصل وضعه أم من القرائن؟ من القرائن والسياق، فهذا كذلك مما يُدرس في علم المعاني.

فعلم المعاني أصولٌ وقواعد يُعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقًا لمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له.

أول المباحث التي معنا في علم المعاني: أن الكلام ينقسم إلى خبر وإنشاء، وهذا من استقراء لغة العرب.

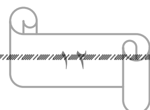
فالكلام إما أن يكون خبرًا، وإما أن يكون إنشاءً، فما الخبر؟

الخبر: كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته.

فكيف تعرف أن هذا الأسلوب أسلوب خبري أو أسلوب إنشائي؟

إن استطعت أن تحكم عليه بالصدق أو بالكذب فهو أسلوب خبري، وإن لم تستطع أن تحكم عليه بذلك فهو أسلوب إنشائي.

إن وجدت صورة ذلك بالإيجاب في الواقع فحكمت عليه بالصدق فهو خبر، أو إن لم تجد صورة ذلك ومدلوله في الواقع فحكمت عليه بالكذب فهو كذلك خبر.



فلو قلت مثلًا: جاء الشيخ علي، فعلي ليس موجودًا، فتقول: هذا ليس بصحيح، فهذا خبر.

أقول: نجح عمرو، فاز زيد، فمدلول ذلك في الواقع تستطيع أن تحكم عليه بالصدق أو الكذب، فهذا يسمى بالخبر.

ومنه قول أبي إسحاق الغزي لمَّا قال يمدح أبا الطيب الكندي المتنبي يقول:

لولا أبو الطيب الكندي ما امتلأت مسامع الناس من مدح ابن حمدانَ

***

يعني لولا كثرة أشعار أبي الطيب الكندي المتنبي في سيف الدولة الحمداني، ما امتلأت مسامع الناس من مدحه، فأنت تستطيع أن تحكم على هذا البيت بالصدق أو الكذب، إذًا هذا من الخبر.

هذا الخبر يُلقى على الناس، يعني أنا أقول: فاز محمد، أو أقول: زيد عندك، إلقاء هذا الخبر على الناس له غرضان.

فإن أفاد هذا الخبر المخاطَب الحكمَ الذي تضمنته هذه الجملة فيُسمى هذا الحكم فائدة الخبر.

وبيان ذلك: هل المستمع كان عالمًا أم كان جاهلًا بالحكم؟ كان جاهلًا بالحكم، فلما كان جاهلًا فأعلمته بهذا الحكم فهذا يسمى بفائدة الخبر، وهذا هو المقصد الأول من الإسناد الإخباري.

ما معنى الإسناد الإخباري؟

كل جملة من جمل الخبر لها ركنان: مسند ومسند إليه، والجملة الإسمية تختلف عن الجملة الفعلية، فالمسند في الجملة الإسمية هو الخبر، والمسند إليه هو المبتدأ، والمسند في الجملة الفعلية هو الفعل، والمسند إليه هو الفاعل.

وكلٌ من الجملة الإسمية والجملة الفعلية لها غرض يختلف عن الأخرى، فالجملة الإسمية الأصل فيها أنها تفيد الثبوت والاستقرار، والجملة الفعلية الأصل فيها أنها تفيد التجدد والحدوث، وهذا خذه قاعدة في كل جملة اسمية وكل جملة فعلية.

إلا في حالة واحدة في الجملة الإسمية: إذا كان خبر الجملة الإسمية جملة فعلية، فلا تقل في هذه الحالة إن الجملة الإسمية تدل على الثبوت والاستقرار، وإنما تدل على ما تدل عليه الجملة الفعلية.

فإذا أفاد هذا الخبر الحكم الذي تضمنته الجملة وكان المستمع جاهلًا بهذا الحكم فهذا يسمى بفائدة الخبر، كما ورد في أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ هذه أخبار من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كانوا جاهلين بهذا الحكم فعلَّمهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا يسمى في علم المعاني بفائدة الخبر، «الأعمال بالنيات»، هذا يسمى بفائدة الخبر.

أمَّا إن كان المستمع يعلم هذا الحكم وأنت تريد أن تبين له أنك تعلم هذا الحكم كذلك، قد يكون المستمع لا يعلم أن الحكم عندك معلوم، فأنت تريد أن تبين له أن الحكم معلوم عندك، فهذا لا يسمى بفائدة الخبر وإنما يسمى بلازم الخبر.

كأن تقول لشخص زيدٌ عنده، تقول: زيد عندك، هو يعلم أن زيدًا عنده، وأنت تعلم أن زيدًا عنده، فإن ألقيت إليه هذا الخبر فهذا لا يسمى بفائدة الخبر وإنما يسمى بلازم الخبر.

كأن تقابل إنسانًا وتقول له: نجحتَ، أنت نجحت، هو يعلم أنه ناجح، فأنت إن أخبرته بذلك هذا يسمى بلازم الخبر.

إذًا الأصل في الخبر أنه يُلقى لأحد غرضين: إما لفائدة الحكم، وإما للازم الحكم، لفائدة الخبر أو للازم الخبر.

هل من الممكن أن يخرج الخبر عن هذه الأغراض لمقتضى السياق والقرائن؟

نعم، قد يُلقى الخبر ولا يراد منه فائدة الخبر أو لازم الخبر، وإنما يراد به الاسترحام، تطلب الرحمة ممن أمامك، كقول الشاعر:

إلهي عبدك العاصي أتاكَ مقرًا بالذنوب وقد دعاكَ

***

فهذا لا يدل على فائدة الخبر ولا على لازم الخبر، ولكن يدل على الاسترحام، فالغرض البلاغي فيه إنما هو خبر يراد به الاسترحام، أي طلب الرحمة.

وقد يدل على إظهار الضعف، يعني تُلقي الخبر وتريد بذلك أن تُظهر ضعفك، كقول زكريا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، هل وهن العظم منه؟ نعم، هل اشتعل رأسه شيبًا؟ نعم، ماذا أراد بذلك؟ أراد أن يُظهر ضعفه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقد يراد بالخبر إظهار التحسر، يريد المرء بهذا الخبر أن يُظهر التحسر، كقول الشاعر:

ذهب الصِّبا وتولَّت الأيام فعلى الصبا وعلى الزمان سلامُ

ذهب الصبا، يخبر عن حال نفسه، وتولت الأيام، فعلى الصبا وعلى الزمان سلامُ

***

وكقول القائل:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيت في خَلْفٍ كجلد

فهذا يدل على التحسر.

***

وكذلك قد يُلقى الخبر ويُراد به الفخر، يريد المرء أن يفخر بذلك، كقول أبي العلاء:

وإنِّي وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم يستطعه الأوائلُ

وإني وإن كنت متأخرًا في الزمان، فإني آتٍ بما لم يستطعه الأوائل، فهذا الخبر أُلقي وأُريد به الفخر.

***

وكقول عمرو بن كلثوم في معلقته:

إذا بلغَ الرضيعُ لنا فِطامٌ تخرُّ له الجبابرُ ساجدينا

يحكي عن قومه، يبين ما هم عليه من البأس والقوة، حتى إنه يفاخِر بالرضيع، يقول:

إذا بلغ الرضيع لنا فطام تخر له الجبابرساجدينا!

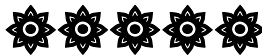
***

وكذلك من أغراض الخبر: أن يراد به الحث على السعي والجِد، كأن تقول: الجزاء على قدر العمل، تريد بذلك أن تُحمِّس من أمامك ليسعى ولكي يجد.

وكقول الصفدي في لاميته:

الجَدُّ في الجدِّ والحِرمانُ في الكَسَلِ فانصبْ تُصِبْ عنْ قريبٍ غايةَ الأملِ

إذًا الخبر ليست له فائدة واحدة، وإنما له فوائد بلاغية عديدة تستقى من السياق ومن القرائن المحيطة به.



بعد أن انتهينا من الكلام عن أغراض الخبر، وله أغراض أخرى ولكن ما ذكرناه كافٍ في بيان المراد إن شاء الله.

نتتقل بعد ذلك للكلام عن أضرب الخبر، أو أحوال المخاطب.

المخاطبون ليسوا على درجة واحدة، فلا يحسن بنا أن نخاطبهم بنفس الأسلوب، فالمخاطَب له ثلاث حالات:

- الحالة الأولى: أن يكون خالي الذهن.
- الحالة الثانية: أن يكون مترددًا، يريد أن يصل إلى اليقين أو مستفهمًا يريد أن يصل إلى الإجابة.
- الحالة الثالثة: أن يكون منكرًا لهذا الخبر.

فكل حالة من هذه الحالات الثلاث تختلف فيها طريقة إلقاء الخبر عن الأخرى.

الحالة الأولى: أن يكون خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يُلقى إليه الخبر خاليًا من أدوات التوكيد، لماذا؟ لأنه خالي الذهن، فحاله كحال قول الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلبًا خاويًا فتمكنا

فهو خالي الذهن، فيلقى إليه الخبر خاليًا من أي توكيد.

وهذه الأقسام الثلاثة لعل أول من أشار إليها أبو العباس المبرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك لـمَّا سأله الكنّدي الفيلسوف، ولم يكن عالمًا بلغة العرب، فقال له: إني أجد في كلام العرب حشوًا، يعني كلامًا لا فائدة له، يقولون: عبد الله قائم، وإن عبد الله قائم، وإن عبد الله لقائم، والمعنى واحد.

فقال له المبرد: لا، بل المعاني مختلفة، فقولنا: عبد الله قائم: هذا إخبار عن قيامه.

وقولنا: إن عبد الله قائم: هذا جواب عن سؤال سائل.

وقولنا: إن عبد الله لقائم: هذا جواب عن إنكار منكِر.

إذا بيَّن أن الكلام ليس على طريقة واحدة في إلقائه، وإنما مُلقي هذا الكلام لا بد أن يراعي حال المخاطَب.

- فإن كان خالي الذهن سُمي هذا النوع من الكلام ابتدائيًا، كأن تقول مثلًا لإنسان تُعلِّمه خالي الذهن: وُلِد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الفيل، وأُوحي إليه في الأربعين، ومكث في مكة ثلاثة عشر سنة، وفي المدينة عشر سنوات، فهذا الكلام يُلقى لإنسان خالي الذهن.

وكقول الله تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦]، فهذه جمل تجدها خالية من أي أدوات مؤكدة.

فهذا النوع من الخبر يسمى بالابتدائي.

- النوع الثاني: أن يكون المخاطب مترددًا في الحكم طالبًا أن يصل إلى اليقين في معرفته، يريد أن يصل إلى اليقين والتثبت في معرفة هذا الخبر، وفي هذا الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه ويسمى هذا الضرب طلبيًا.

فلو شك عمرو مثلًا في نجاح زيد، وعنده أن زيدًا هذا لا يمكن أن ينجح، فأنت أردت أن تؤكد عنده هذا المعلوم، أن تزيل هذا التردد وأن تنقله إلى اليقين، فتقول: إن زيدًا ناجحٌ.

وتجد هذا في قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٤]، هذا خبر عن ذي القرنين، جاء هذا الخبر بعد سؤال.

فقلنا: إن النوع الطلبي من أضرب الخبر، قد يكون من أجل سؤال سُئل، السؤال قال: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٣].

قال: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٤]، فجاء بمؤكد واحد.

▪ والنوع الثالث: أن يكون المخاطب منكرًا لهذا الخبر.

وفي هذه الحالة لا يحسن بك أن تلقي الخبر بدون مؤكدات، أو أن تؤكده بمؤكد واحد، إنما يجدر بك أن تؤكد الخبر بمؤكدات كثيرة على حسب إنكاره وقوة هذا الإنكار وضعفه، ويسمى هذا الضرب إنكاريًا.

مثاله: قول الله تبارك وتعالى في هؤلاء الذين بُعثوا إلى أهل أنطاكية كما في سورة يس، تأمل في هذه الآيات، قال الله ﷻ: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٣].

ماذا قال المرسلون؟ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤]، فأكَّدوا بمؤكد واحد.

لَمَّا كان الإنكار ضعيفًا أكدوا بمؤكد واحد، ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: ١٥].

فلما كان الجواب من المخاطبين كذلك، بم رد هؤلاء المرسلون: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦].

ففي المرة الأولى اكتفوا بتأكيد الخبر بإن، فلما زاد الإنكار أكدوا بإسمية الجملة، والتي تدل على الثبوت والاستقرار، وبالقَسَم المقدر، واللام، وإن، والحصر بالتقديم، لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]، لم يقولوا إنا مرسلون إليكم، انظر إلى كل هذه المؤكدات جيء بها من أجل ماذا؟

من أجل هذا الإنكار الذي أنكره هؤلاء، فليس من البلاغة أن تأتي بالخبر على صورة واحدة مع جميع الناس.

ولذلك قلنا: إن طريقة القرآن تختلف في خطاب الناس، فليس الخطاب للعرب ولا للأعراب كالخطاب لأهل الكتاب المجادلين المعاندين.

مؤكدات الخبر

إذا أردت أن تؤكد الخبر فلتوكيده أدوات كثيرة، منها: إن، وأن، والقسم، ولام الابتداء، ونونا التوكيد، وأحرف التنبيه، والأحرف الزائدة، وقد، وأما الشرطية، فهذه من الأدوات التي يستعملها المرء لتأكيد الخبر.

أن، وإن، مضت.

والقسم، ولام الابتداء، وقد كما في قول لبيد،:

ولقـدْ علمـت لتـأتينَّ منيَّتـي   إنَّ المنايَـا لا يطـيش سـهامُها

قال: ولقد علمت، ولقد توكيد، علمتُ، لتأتين اللام والنون الثقيلة، والقسم المقدر، (إنَّ) المنايا توكيد، لا يطيش سهامها.

***

قال الله ﷻ على لسان امرأة العزيز: ﴿ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [يوسف: ٣٢]، هذا توكيد.

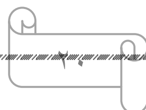
قال الله ﷻ: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢]، ألا حرف تنبيه، فهذا كذلك يفيد التوكيد.

خلاصة الأمر أننا ينبغي أن نعلم أن المخاطب ليست له صورة واحدة، بل أكثر من صورة، وما يجدر بك أن تجعل صورة واحدة لكل المخاطبين.

بيِّن نوع ضرب الخبر، وبيِّن أداة التوكيد في هذه الجمل التي سأذكرها، سآتي لك بجملة بيِّن نوع الخبر هل هو ابتدائي؟ هل هو طلبي؟ هل هو إنكاري؟ لو وُجدت أداة التوكيد فما هي ؟

قال الشاعر:

إني رأيـــت عواقـــب الـــدنيا   فتركـت مـا أهـوى لِمَـا أخشـى



***

عندنا جملتان: إني رأيت عواقب الدنيا.

والجملة الثانية: فتركت ما أهوى لِما أخشى

ما ضرب الخبر في الجملة الأولى؟ ما نوع الخبر؟ هل هو طلبي؟ أم إنكاري؟ أم ابتدائي؟ طلبي.

ما أداة التوكيد؟ إنَّ.

فتركت ما أهوى لما أخشى: ضرب الخبر هنا: ابتدائي لخلوه من أداة التوكيد.

قال الآخر:

إني لفـي زمـن مـلآن مـن فـتنٍ فـلا يُعـاب مـلآن مـن فَـرَقِ

***

أراد أن الإنسان الذي يخشى هذا لا يُعاب على خشيته وقت الفتن.

قال: إني لفي زمن ملآن من فتنٍ، هذه هي الجملة الأولى، ما ضرب الخبر؟

إنكاري، قال: إني لفي.

الجملة الثانية: فلا يُعاب ملآن من فَرَقٍ، هذا ابتدائي لخلوه من أدوات التوكيد.

القسم الثاني من أقسام الكلام: وهو الإنشاء.

فإذا كان الخبر لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته فالإنشاء.

الإنشاء لغة: بمعنى الإيجاد.

وفي الاصطلاح: ما لا يحتمل لا صدقًا ولا كذبًا.

فلو قلت مثلًا: يا رب اغفر لي، يا رب أسلوب نداء، اغفر لي، هذا أمر، ولكن لا يقال هنا: أنه على سبيل التكليف والإلزام كما سيأتي، تقول: يا رب اغفر لي، فلا يصح أن يقال لك: كذبت، أو أن يقال لك: صدقت، إلا إن كان المراد أنت صادق في دعواك أو كاذب في دعواك، أنك تطلب مغفرة الله أو لا تطلب مغفرة الله.

أما صورة هذه الجملة فهي ليست بخبر وإنما هي إنشاء.

فالإنشاء في الاصطلاح: ما لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا، كالأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء وغيرها.

لماذا جاء بهذه الأمور؟

قلنا: إن من فوائد هذا العلم أنه يبحث في أمرين:

الأمر الأول: حد هذا العلم وهو أن يكون الكلام مطابقًا لمقتضى الحال.

المبحث الثاني: أن هناك من الكلام المسند ما له معنى بأصل وضعه في لغة العرب، ولكن بسبب السياق والقرائن صار له معنىً آخر، ومن ذلك الأمر والنهي والتمني والاستفهام وغيرها، فهذه إن بحثت في لغة العرب تجد أن لها معاني بأصل الوضع، ومع ذلك تجد في كلام البلغاء يقولون: هذا أمر والغرض منه الإرشاد، الغرض منه التحذير، الغرض منه التحقير، الغرض منه السخرية، إلى غير ذلك، فلها معاني أخرى بلاغية.

والإنشاء نوعان:

طلبيٌّ وغيرُ طلبيٍّ.

فالطلبي ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، يعني هذا المطلوب غير موجود وقت الطلب، فأنت تستدعي وتطلب وجوده.

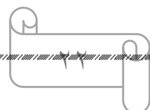
ويكون بالأمر، تقول: اسقني ماءً، فأنت ما شربت بعد.

وكذلك: بالنهي والاستفهام والتمني والنداء.

وأما غير الطلبي: فما لا يستدعي مطلوبًا.

وله صيغ كثيرة: ومنها التعجب والمدح والذم والقسم وأفعال الرجاء، وكذلك صيغ العقود، هذا النوع الثاني من أنواع الإنشاء يسمى بالإنشاء غير الطلبي.

لماذا يسمى بالإنشاء غير الطلبي؟ لأنه لا يستدعي مطلوبًا.



وغالبًا ما له معنى واحد، وهو ما كان بأصل الوضع، ولذلك لم يهتم علماء المعاني به كاهتمامهم بالنوع الأول الذي هو الطلبي، فعرَّجوا عليه سريعًا.

يعني لا تجد المباحث الكثيرة في هذا النوع الثاني، وإنما في النوع الأول.

وقالوا: إنما جيء به هاهنا لمجرد أنه يدل على إنشاء التكثير، يدل على الكثرة، فالتعجب يدل على الكثرة في الصفة المتعجَّب منها، وكذلك المدح والذم وأفعال الرجاء، إلى غير ذلك، فهي أقرب لمعنى الخبر.

ولذلك بعض علماء البلاغة عدَّها من قسم الخبر لا من قسم الإنشاء.

غير الطلبي: قالوا: ما لا يستدعي مطلوبًا وله صيغ كثيرة، منها التعجب.

التعجب يأتي قياسًا على صورتين، يعني تستطيع أن تقيس على هذه الصور:

ما أفعله! فتقول: ما أحسن الرجل! ما أجمل السماء! ما أروع الطقس!

وأفعل به، كما قال تعالى: ﴿أَسمِع بِهِم وَأَبصِر.﴾، وتقول: أكرم بالصديق، أجمل بعلي!، فهذه صيغ التعجب القياسية.

ومنها ما ورد سماعًا، كما تقول: سبحان الله، فهذا كذلك من التعجب وليس قياسيًا، يعني لا ينطبق عليه ما أفعله ولا أفعل به، فهذه جاءت عن طريق السماع في لغة العرب، وكذلك: الله أكبر، وكذلك قول الله ﷻ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، فهذا وإن جاء على صيغة الاستفهام ولكن المراد به التعجب، فهذا سماعي.

قال: التعجب والمدح، والمدح يكون بنعم وبئس ولا حبذا، فتقول: نِعم الرجل زيد، وبئس مثوى الظالمين، وكقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإمارة: «نعمت المرضعة وبئست الفاطمة».

والقَسم سواء كان بالواو أو بغيرها من أحرف القسم، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥].

وأفعال الرجاء كعسى وحرى واخلولق، قال الله ﷻ: ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ [المائدة: ٥٢].

وصيغ العقود، كأن تقول في البيع: بعتُ، وكذلك في النكاح: تزوجت، فتأتي بها بصيغ الماضي، والمراد بها الإنشاء.

فقلنا: أن الأصل في هذا النوع أنه ليس من علم المعاني، بل بعضهم يراه من الخبر، ليس من الإنشاء.

وأما النوع الثاني فهو الطلبي، فقلنا: هو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل.

لماذا يدرس الطلبي في هذا الفرع من فروع البلاغة؟

قلنا: للفوائد البلاغية المترتبة عليه، لأنه له معنىً بأصل وضعه، وله معنىً يتضمنه من خلال السياق والقرائن.

ومن هذا الأمر والنهي، وهما ما قصرنا عليهما في هذه الرسالة الموجزة.

الأمر: طلب الفعل على وجه الاستعلاء.

ما المقصود بوجه الاستعلاء؟

طلب إيجاد هذا الفعل على وجه الاستعلاء.

الاستعلاء يُقصد به أن يكون الطلب بغلظة، فهذه هيئة في الأمر نفسه، يعني يقول: أحضر الماء، فهذا فيه غِلظة.

وأما العلو، طلب الفعل على وجه العلو، وهذا سبق أن درسناه في أصول الفقه، هل الأمر طلب الفعل على وجه الاستعلاء؟ أم طلب الفعل على وجه العلو؟ أم أنه طلب الفعل مطلقًا دون علو ولا استعلاء؟

قلنا: الراجح: دون علو أو استعلاء، إنما في مبحث البلاغة يقولون: طلب الفعل على وجه الاستعلاء، يعني أن يكون الأمر فيه غلظة وشدة.

وإذا كان على وجه العلو فهذا لكون الطالب أعلى رُتبة ممن يطلب منه، فالعلو صفة للآمر، كأن يطلب السيد من عبده.

والاستعلاء صفة في الأمر نفسه.

وللأمر أربع صيغ، يعني كيف تستطيع أن تُنشئ صيغة الأمر؟

بصور أربعة:

▪أول هذه الصور: فِعل الأمر، افعل، كقول الله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ [الإسراء: ٧٨]، ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احرص على ما ينفعك»، فأول صيغ الأمر: فعل الأمر.

▪والصيغة الثانية: المضارع المقرون بلام الأمر، قال تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق: ٥]، ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ [عبس: ٢٤]، قال: ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩].

فهنا عندنا الفعل المضارع والذي هو يوفوا، وكذلك يطَّوفوا، وكذلك ينظر، دخلت عليها لام الأمر، فهذا مما يفيد الأمر.

▪وكذلك اسم فعل الأمر، وهو ما دل على الطلب ولم يقبل علامة الأمر، مثل صه، وكقول الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فعليكم اسم فعل أمر بمعنى الزموا، وصه، وحي على الصلاة، حي على الفلاح.

▪والنوع الرابع: وهو المصدر النائب عن فعل الأمر، مصدر ناب عن فعل الأمر، قال تعالى: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ [محمد: ٤].

فيصح أن تضع مكانها في غير القرآن فاضربوا الرقاب، أحسنوا إلى الوالدين، فهذه صيغ الأمر الأربع.

قال الشيخ حافظ حكمي في منظومته في الأصول:

أربع ألفاظ بها الأمر دُري *** افعل لتفعلْ اسمُ فعل مصدر

ما معنى الأمر في أصل وضعه؟

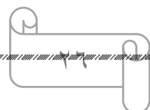
أنه يدل على طلب الفعل على وجه الاستعلاء، أنه تكليف وإلزام، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، ومع ذلك قد تخرج صيغة الأمر عن هذا المعنى إلى معانٍ أخرى، هذه المعاني تُستفاد من سياق الكلام.

فقد يكون للإرشاد، وضابط الإرشاد كما قال البلاغيون: أن يكون الأمر راجعًا لمصالح الدنيا.

وقول الله ﷻ: ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وكما سيأتي في الأمثلة التي معنا.

وكذلك قد يكون للدعاء، وهذا إذا كان ممن هو أعلى منك، يعني أنت تتضرع لمن هو أعلى منك، فإنه لو كان من الأعلى إلى الأدنى فهذا يسمى أمرًا، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى فهذا يسمى دعاءً، وإن كان من المساوي فهذا يسمى التماسًا.

فمن الأعلى إلى الأدنى فهذا يسمى أمرًا، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى فهذا يسمى دعاءً، وإن كان من المساوي فهذا يسمى التماسًا.



فقد يكون للإرشاد، وقد يكون للدعاء، كقولك: ربنا اغفر لي ولوالدي، رب اغفر لي.

وقد يكون للالتماس، قلنا: من المساوي.

وقد يكون للتمني، كقول امرؤ القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثلِ

فهو يتمنى أن ينجلي هذا الليل الطويل.

يقول لليل: انجلي، هذا الفعل أمر، لكن هل الليل مكلف؟ هل أراد منه أن ينجلي على سبيل الوجوب والإلزام؟ ما الذي أراده من هذا الأمر؟ التمني. فيستفاد ذلك من سياق الكلام وأحوال الكلام.

***

وكذلك قد يراد به التخيير والتسوية، كقول الله ﷻ للمنافقين: ﴿ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ ﴾ [التوبة: ٥٣]، أنفقوا هذا فعل أمر، هل الله ﷻ يريد منهم أن ينفقوا حقيقة؟ قال: لن يُتقبل منكم، إنما أراد الله ﷻ أن يسوي بين الأمرين، سواءً أنفقتم أو لم تنفقوا فلن يُتقبل منكم.

وكذلك للتعجيز: فقد تأتي صيغة الأمر ويراد بها التعجيز، كقول الله ﷻ للمشركين عن القرآن: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣]، مع أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، فالأمر للتعجيز.

وكقول القائل:

أروني بخيلًا طال عمرًا ببخله وهاتوا كريمًا مات من كثرة البذل

فأراد بذلك هاهنا التعجيز، أنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا.

***

وكذلك التهديد، كقول الله ﷻ: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]، وكقول النبي ﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»، فهذا خرج مخرج التهديد.

وكذلك للإباحة: كقول الله ﷻ : ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢]، إلى غير ذلك، حتى أوصلها بعضهم إلى خمسة وثلاثين نوعًا، قد يأتي الأمر ويراد به غير الإلزام والوجوب.

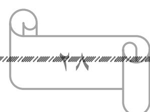
فهذه الأمثلة وغيرها دلت القرائن على المراد منها، ولذلك تضمنت هذه المعاني البلاغية، فكانت الوجه البلاغي في أنها جاءت على صيغة الأمر، ومع ذلك لم يُرد منها طلب الفعل على وجه الاستعلاء.

وكذلك النهي: فهو من الإنشاء، فحد النهي: طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء.

في الأمر: طلب الفعل، في النهي: طلب الكف، فهو طلب كذلك على وجه الاستعلاء.

وللنهي صيغة واحدة، فليس له صيغ أربع وإنما هي صيغة واحدة، وهي المضارع مع لا الناهية، لا تفعل، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾ [الإسراء: ٣٢]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، فهذا هو الأصل في وضع صيغة النهي أنها تفيد طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء.

ومع ذلك قد تخرج صيغة النهي عن معناها إلى معانٍ أُخرى كذلك تستفاد من السياق والقرائن كالدعاء.



فتأتي صورة النهي ولا يراد بها طلب الكف على وجه الاستعلاء، وإنما يراد بها الدعاء، تقول:

إلهـــي لا تعـــذبني فـــإني   مقـــرٌّ بالـــذي قـــد كـــان منـــي

فهذه الصورة صورة نهي، ولكن المراد بها الدعاء.

***

وقد تكون للالتماس: قلنا: من النظير إلى النظير.

وكذلك التمني، والإرشاد والتوبيخ، والتيئيس، والتهديد، والتحقير كما سيتضح في الأمثلة التالية.

بيِّن صيغة النهي؟ وما المراد من هذا النهي في هذه الأمثلة؟

هذا تطبيق عملي لهذا الكلام.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦].

النهي هاهنا حقيقي يراد به طلب الكف.

ما صيغة النهي هاهنا؟ لا تفسدوا.

قال أبو العلاء:

لا تحلفن على صدق ولا كذب   فـما يفيـدك إلا المـأثم الحلـف

أي فما يفيدك الحلف إلا المأثم.

ما المراد بالنهي هنا؟ يراد به الإرشاد.

ما صيغة النهي هاهنا؟ لا تحلفن.

***

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ

بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

أين صيغة النهي؟ لا يسخر، لا تلمزوا، لا تنابزوا.

ما المراد بالنهي هاهنا؟ يراد به طلب الكف، وكذلك توبيخ هؤلاء الذين يقعون في مثل هذه الأمور.

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٦]، أين صيغة النهي هاهنا؟ لا تعتذروا.

ما المراد بها؟ التيئيس.

وقال الشاعر:

لا تطلبِ المجدَ إنَّ المجد صعبٌ وعيْش مستريحًا ناعمَ البال

يراد به التحقير.

***

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [طه: ١٣١]، كذلك يراد به التحقير.

وقالت الخنساء ترثي أخاها صخرًا:

أعينيَّ جُودا ولا تجمُدا ألا تبكيان لصخر الندا

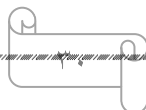
أين صيغة النهي هاهنا؟ ولا تجمدا.

ويراد بها التمني.

***

وقال خالد بن صفوان:

لا تطلبوا الحاجاتِ في غير ولا تطلبوها من غير أهلها



يراد به الإرشاد.

وصيغة النهي هاهنا: لا تطلبوا.

فخرجت هذه الصور كما قلنا عن معناها الأصلي بسبب هذه القرائن والأحوال.

***

كذلك مما يُبحث في علم المعاني: القَصْر.

والقصر لغةً بمعنى الحبس، قال تعالى: ﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢].

وأما القصر في الاصطلاح: تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص.

تخصيص أمر: يعني قد يكون التخصيص لهذا الأمر، ما المقصود بالأمر هنا؟ يعني التخصيص للصفة أو للموصوف، هذا المقصود بالأمر.

تخصيص الصفة أي قصر الصفة على الموصوف، أو الموصوف على الصفة، تختص به أو يختص بها.

تخصيص أمر بأمر، فتخصيص صفة أو موصوف بموصوف أو صفة، بطريق مخصوص.

وهذه الطرق المخصوصة أشهرها أربعة، وهي:

- النفي والاستثناء
- وإنما
- والعطف بلا وبل ولكن
- وتقديم ما حقه التأخير.

فقولنا هاهنا: بطريق مخصوص يعني أن الفائدة البلاغية إنما تكون في هذه الأربعة، وقد يكون التخصيص في غيرها ولا يراد في مبحثنا البلاغي.

الله ﷻ يقول: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]، جاء التخصيص بلفظه، قال: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]، فهذا يدل على التخصيص، ولكن لم يدخل في هذه الصور.

تقول: جعلت هذا الهاتف لإبراهيم وحدهُ، فهذا تخصيص، ومع ذلك لا يدل على هذا المراد هاهنا.

وكذلك تقول: فلان ينفرد عن بقية أصحابه بأنه كذا، ينفرد، فهذا كذلك يدل على التخصيص، ولكن ليس له وجه بلاغي.

الوجه البلاغي في هذه الصور التي ذكرناها.

أول هذه الصور: النفي والاستثناء.

النفي بإحدى أدوات النفي، والاستثناء بإلا، أو بأخواتها.

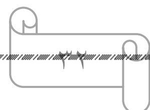
تقول: ما شاعر إلا امرؤ القيس، ما وإلا.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣]، فهذا نوع من أنواع القصر.

وهو بالنفي والاستثناء، فعندما تقول: ما شاعر إلا امرؤ القيس، تقصر الشاعرية على امرؤ القيس.

فأول طُرق القصر: النفي والاستثناء.

وكذلك: إنما، قال: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦]، ويكون المقصور عليه مؤخرًا وجوبًا، تقول: إنما الحياة تعب، فالمقصورة هاهنا الحياة، والمقصور عليه هو التعب، فالحياة موصوفة بالتعب دائمًا، يلازمها، والقصر هاهنا قصر موصوف على صفة.



وكذلك يكون بالعطف بلا أو بل أو لكن، قال: فإن كان العطف بلا كان المقصور عليه مقابلًا لما بعدها، وإن كان العطف ببل أو لكن كان المقصور عليه ما بعدهما، ما معنى هذا الكلام؟

من صور القصر: أن يكون القصر بالعطف بلا، فتقول: زيد كريم لا عمرو، عمرو كريم لا زيد.

قال هاهنا: فإن كان العطف بلا كان المقصور عليه مقابلًا لما بعدها، قلت: زيد كريم لا عمرو، من المقابل لعمرو؟ زيد، فالمقصور عليه الكرم هو زيد، فالمقصور عليه يقابل ما بعد لا.

قال: وإن كان العطف ببل أو لكن كان المقصور عليه ما بعدهما، إن كان العطف ببل، تقول: ما جاء زيد بل عمرو، فالمقصور عليه ما بعد بل، لأنك أثبت الحكم لمن؟ لما بعد بل وهو عمرو، فقصرت المجيء على عمرو.

وكقول الشاعر:

لـيس اليتـيمُ الـذي قـد مـات   بـلِ اليتـيمُ يتـيمُ العلـم والأدب



ولكن: تقول: ما أكرمني زيدٌ بل عمرو، لكن كذلك يكون المقصور عليها ما بعدها، فقصرت الكرم على عمروا، فقصر الإكرام على عمرو ونُفي عن زيد.

وفي بل ولكن إن أردنا القصر لا بد أن يسبقها نفي أو نهي، أي شبه نهي، وأن يليها مفرد، وهذا تجده في المثالين المذكورين.

إن أردنا القصر لا بد أن يتقدم بل ولكن نفي أو نهي.

وكذلك من صور القصر: تقديم ما حقه التأخير.

قال عبد القاهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا المبحث أي في مبحث التقديم والتأخير، إن هذا التقديم كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، ولا يزال يُفتر لك

عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك سجعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب ذلك أن راقك ولطف عندك، إن قدم فيه شيء، وحوِّل اللفظ من مكان إلى مكان. ا. هـ.

ونبَّه على مسألة مهمة جدًا وهذه مشهورة عند طلاب الثانوية العامة خاصة، أنهم إن ذكروا فائدة التقديم والتأخير يقولون: لمجرد العناية والاهتمام، فيقول: لا يقال إن التقديم لمجرد العناية والاهتمام بل هناك أغراض بلاغية أخرى، خاصة في نظم أشرف من نظم، أي القرآن، الذي قهر أعناق الجبابرة، فلا يحسن بك أن تقول في كل تقديم وتأخير: إنما حدث ذلك من أجل العناية والاهتمام وتسكت.

لكن هناك أمور عظيمة تكمن خلف ذلك.

المهم أن من طُرق القصر: تقديم ما حقه التأخير، وهنا يكون المقصور عليه هو المقدَّم، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

فهذه طُرق القصر المشهورة: النفي والاستثناء، وإنما، والعطف بلا وبل ولكن، وتقديم ما حقه التأخير.

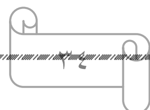
قال: ولكل قصر طرفان: مقصور ومقصور عليه.

لكل أسلوب قصر طرفان: مقصور ومقصورعليه، صفة وموصوف، قد تكون الصفة مقصورة على الموصوف، أو الموصوف مقصورًا على الصفة، وهذا من أغمض ما يكون كما ذكر عبد القاهر نفسه وغيره ممن صنَّفوا في هذا الفن.

يقول: وينقسم القصر باعتبار طرفيه إلى قسمين:

قصر صفة على موصوف: أي أن هذه الصفة لا تتعدى هذا الموصوف، تُحبس عليه وتختص به، لا تتعداه.

وهذا قد يكون قصرًا حقيقيًا، وقد يكون قصرًا إضافيًا.



القصر الحقيقي مثل أن تقول: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فأنت قصرت هاهنا صفة الألوهية على موصوف الذي هو ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ولا تتعداه هذه الصفة إلى غيره.

تقول: لا رازق إلا الله، مثلها، تقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

ومما ينبغي أن يُعلم هاهنا أنه ليس المراد بالصفة الصفة التي في علم النحو، وإنما يراد بها ما هو أعم من ذلك، فيدخل في ذلك الحال، والجار والمجرور، والمصدر، وهذا كمثله في علم الأصول.

لمَّا ذكرنا التقييد بالصفة قلنا هناك: إنه لا يقتصر في ذلك على الصفة النحوية، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وليس معنى ذلك: أنه لا يخشى الله إلا العلماء، قد يكون هناك من العُبَّاد مَن هو أخشى بكثير من كثير من العلماء، فنقول: هنا القصر إضافي.

وكقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، هذا قصر حقيقي، لا يعلمها إلا هو.

إذًا ما المقصود بقصر صفة على موصوف؟ أن تُحبس هذه الصفة على موصوفها وتختص به ولا تتعداه.

فالقصر الحقيقي أن الصفة تختص به ولا تتعداه إلى غيره، لَا إِلَهَ إِلَّا الله، لا رازق إلا الله.

الإضافي قد يتعداه إلى غيره.

النوع الثاني: قصر موصوف على صفة، وهي حبس الموصوف على الصفة ويختص بها، فهي لا تفارقه، هذا الموصوف لا يفارق هذه الصفة.

وقد يتصف بغيرها، الموصوف لا يفارق هذه الصفة وقد يتصف بغيرها من الصفات، تقول مثلًا: إنما الحياة تعب، فالحياة لا تنفك عن التعب، وقد تُوصَف بغير ذلك، ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٠]، وُصفت بغيرها، ولكن الشاهد أن الحياة لا تنفك من التعب إلى الراحة مثلًا.

إذًا خلاصة القول أن القصر باعتبار طرفيه قلنا: ما طرفا القصر؟

المقصور والمقصور عليه.

قال الفصل والوصل.

من مباحث علم المعاني كذلك: الفصل والوصل.

قال عبد القاهر: وهذا من أسرار البلاغة، الفصل والوصل أن تصل بين جملتين بالواو، أو أن تجعل كل جملة على حدة منفصلتين.

قال رحمه الله: هذا من أسرار البلاغة التي لا يتأتى تمام الصواب فيها إلا لأعراب خُلَّص، يعني الوقوف على دقائق ذلك لا يتأتى إلا لأعراب خُلص، أو لقوم طُبعوا على البلاغة، وقد بلغ من قوة الأمر في هذا المبحث قال: أنهم جعلوه حدًا للبلاغة.

يعني بعضهم سُئل: ما البلاغة؟ فجعل الفصل والوصل حدًا للبلاغة.

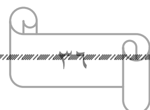
قيل لبعضهم: ما البلاغة؟ قال: معرفة الوصل من الفصل، فالذي يعرف الوصل من الفصل يصير بليغًا.

فقال: الوصل عطف جملة على أخرى بالواو.

لماذا خُصت الواو دون غيرها كالفاء وثُم؟

قالوا: لأن هذه تفيد الاشتراك، مع معانٍ أخرى، تقول: جاء محمد فعلي، فالفاء تفيد معنىً زائدًا وهو الترتيب، ثم تفيد التراخي، إنما الواو لا تفيد إلا الاشتراك.

ولأجل ذلك بُحث لها عن معان بلاغية في الوصل والفصل.



قال: الوصل: عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف.

إذًا الوصل تعطف جملتين بالواو خاصة، والفصل: أن تستأنف الجملة الثانية، وأن تقطع الجملة الثانية عن الجملة الأولى.

ولكلٍّ من الفصل والوصل مواضع خاصة.

فيجب الفصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع:

إذا أردنا أن نبين الوجه البلاغي، هل نقول: إنما فُصل بين الجملتين لأن الجملة الأولى قُطعت عن الجملة الثانية واستُئنفت؟

لا، قال عبد القاهر: مما ينبغي أن يعلم أنه ما ينبغي أن يكتفى بقولنا: الكلام قُطع عمَّا قبله واستأنف.

بعض الناس يقول لمَّا تسأله: لماذا قُطعت الجملة الأولى عن الثانية؟

يقول: استئناف لكلام جديد، وقد يكون هذا الاستئناف لغرض بلاغي كما سيأتي.

فأول هذه المواضع:

الأول - أن يكون بين الجملتين اتحادٌ تام، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيدًا للأولى، أو بيانًا لها، أو بدلًا منها، ويقال حينئذ: أن بين الجملتين كمالَ الاتصال.

فالجملة الثانية بالنسبة للجملة الأولى، كالصفة، كأن تقول مثلًا: جاء زيد الظريف، فالظريف هذه صفة لزيد، فالجملة الثانية بالنسبة للجملة الأولى كقولك: الظريف كهذه الصفة، ولا يُفصل بين الصفة والموصوف بواو العطف، أو تقع الجملة الثانية توكيدًا للجملة الأولى، فتقول: جاء القوم كلُّهم، لا تقول: جاء القوم وكلهم، لا تفصل بين التوكيد وبين الموكد، فكذلك في هذه الجملة.

فإن وقعت الجملة الثانية كالصفة للجملة الأولى أو كالتوكيد للجملة الأولى، أو كالبدل من الجملة الأولى فإنه في هذه الحالة يجب الفصل، تعامل معاملة الصفة أو البدل أو التوكيد.

كقول الله تبارك وتعالى: ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١، ٢]، ذلك الكتاب مبتدأ وخبر، والجملة الجديدة: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، ومع ذلك ما قال: ذلك الكتاب ولا ريب فيه، لماذا؟

لأن قوله: لا ريب فيه نُزِّل منزلة البيان والتوكيد والصفة لقوله: ذلك الكتاب، فكأنك أعدت ذلك مرتين، كأنك قلت: ذلك الكتاب، ذلك الكتاب، ذلك الكتاب، فأكَّدت المعنى.

ومثاله قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣]، هذه جملة مستقلة، ما قال بعدها: وإن هو إلا وحي يوحى، قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]، ففصل بين هاتين الجملتين، لماذا؟

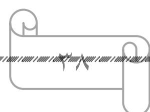
لأن الجملة الثانية تأكيد وتثبيت لهذا النفي لإثبات الوحي، فجاء بالجملة الثانية، كان يكفي أن يقول: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣]، وإنما قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]، ليؤكد هذا النفي ويُثبت أن هذا الوحي من قِبل الله تبارك وتعالى.

إذًا يجب الفصل إذا كان بين الجملتين اتحاد تام، ما معنى بينهما اتحاد تام؟

أن تكون الثانية كالصفة أو التوكيد أو البدل للأولى.

الموضع الثاني: أن يكون بين الجملتين تباينٌ تامٌ: لا علاقة للأولى بالأخرى، وذلك بأن تختلف خبرًا وإنشاءً، أو بألا تكون بينهما مناسبة ما، وحينئذ يقال: إن بين الجملتين كمال الانقطاع.

كقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١، ١٢].



لم يقل: وألا إنهم هم المفسدون، لماذا؟ للتباين بين الجملتين، فالكلام في الجملة الثانية ليس كلامهم، ولذلك ما عطفه الله ﷻ على كلامهم، وإنما هو كلام ربنا تبارك وتعالى.

وكذلك مما يوجِب التباين التام: إذا جاء الكلام بعقب ما يقتضي سؤالًا يُنزَّل منزلة ما لو صُرِّح بهذا السؤال.

وهذا تجده في كتاب الله تبارك وتعالى، أشار إليه عبد القاهر في هذا الكتاب في صفحة مائتين وأربعين.

فذكر من ذلك: قول الله تبارك وتعالى على لسان إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمَّا قال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٨].

قال: جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال، فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: دخل قوم على فلان فقالوا كذا أن يقولوا فما قال هو.

كأن الناس قالوا: لما قيل له كذا، قالوا: فما قال إبراهيم؟

ويقول المجيب قال كذا، أخرج الكلام ذلك المخرج؛ لأن الناس خوطبوا بما يعرفونه، وسُلك معهم المسلك الذي يسلكونه.

قال: وكذلك في قصة موسى في رده: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾.

فكأن الناس قالوا: فماذا قال موسى لمَّا قيل له: وما رب العالمين، فقيل: قال: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾.

فإذا كانت الجملة الثانية جوابًا لسؤال مقدَّر فإنه يجب الفصل بين الجملتين.

وكذلك قول القائل:

زعـم العـوازل أننـي في غمـرة صـــدقوا، ولكـــن غمـــرتي لا

***

فكأنهم قالوا: فما قولك في ذلك زعم العوازل أنني في غمرة، ما قولك في ذلك؟ صدقوا.

فلما نُزِّلت الجملة الثانية منزلة الإجابة عن السؤال وجب الفصل كذلك.

فقال: أن يكون بينهما تبايناً تامًا، و ذلك بأن تختلف خبرًا وإنشاءً، إنسان قال لك مثلًا: هل لك حاجة؟ بعض الناس يقول ويخطئ في ذلك: لا بارك الله فيك.

هذا سيأتي في وجوب الوصل.

الأمر الثالث: أن تكون الثانية جوابًا عن سؤال يُفهم من الأول، ويقال حينئذ: إن بين الجملتين شبه كمال الاتصال، وهذا كالذي مضى، أو جعلنا بعضًا من الذي مضى في النقطة رقم باء، وكان ينبغي أن يكون في جيم.

فإن كانت الثانية جوابًا عن سؤال مقدر فإن يجب أن نفصل بينهما.

وأما الوصل:

فيجب الوصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع:

إذا قُصد إشراكهما في الحكم الإعرابي، وكذلك إذا اتفقا خبرًا أو إنشاءً، وكانت بينهما مناسبة تامة، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما.

فتقول: خرج زيد ودخل عمرو، فأنت أردت هاهنا أن تُشرك الجملتين في نفس الحكم الإعرابي، فتعطف الثانية على الأولى.

وكذلك في نفس المثال: خرج زيد ودخل عمرو، فكِلا الجملتين خبر لا إنشاء، وبينهما مناسبة، لمّا أخبرت عن خروج زيد اقتضى ذلك أن تُخبر عن حال عمرو، فقلت: خرج زيد ودخل عمرو.

وليس هناك ما يقتضي الفصل بين الجملتين، فليس بين الجملتين تباين تام، وليست الثانية جوابًا للأولى، وليس بينهما كذلك اتحاد تام، فليست الأولى توكيدًا للأولى ولا صفة ولا غير ذلك.

ومنه قول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، ثم بعد أن انتهى من المحرمات قال: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]، فالجملتان اتفقتا من جهة الخبر، ثم إن بينهما مناسبة تامة، ما هي هذه المناسبة؟

لـمَّا أخبر الله تبارك وتعالى عمَّا حُرِّم حسُن أن يذكر كذلك وأن يعطف على ما حُرِّم ما أحله الله تبارك وتعالى.

وكذلك إذا اختلفا خبرًا وإنشاءً وأوهم الفصل خلاف المقصود.

فلو سألك سائل: هل لك حاجة؟ ماذا تقول؟ لا وجزاك الله خيرًا، لا وبارك الله فيك، فالجملتان خبر وإنشاء.

بارك الله فيك هذه إنشاء في صورة الخبر، هي خبر من جهة اللفظ، إنشاء من جهة المعنى.

فلولا العطف لأوهم أنك تدعو عليه، تقول: لا بارك الله فيك، هذا يوهِم خلاف المراد، المراد أنك تدعو له، فلولا العطف لأوهم أنك تدعو عليه.

<u>بيِّن مواضع الفصل والوصول في هذه الجمل مع ذكر السبب؟</u>

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

لا يؤمنون: هل هناك فصل أم وصل؟

هناك وصل.

لماذا وصل؟

لأن هذه الجملة نُزِلت منزلة التوكيد أو الصفة لهؤلاء الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى.

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، ما عطف كذلك بل وصل زيادة في هذا التوكيد.

ففي قوله تعالى: لا يؤمنون، قلنا: هذا توكيد أو وقع موقع الصفة للجملة التي قبلها.

وقوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]، هذا فصل أم وصل؟

هذا فصل، يعني لم يعطف الجملة الثانية كذلك على الجملة التي قبلها، قلنا: إمعانًا في هذا التوكيد.

وقال الأحنف بن قيس: لا وفاء للكذوب، ولا راحة لحسود، فهذا وصل بينهما للاتفاق خبرًا، وكذلك للتناسب في المعنى، وكذلك لأنه لا يوجد ما يقتضي الفصل.

وجاء في الحِكم: كفى بالشيء داءً صلاح الإنسان في حفظ اللسان.

فصل بين الجملتين، قال: كفى بالشيء داءً، هذه جملة، ثم قال: صلاح الإنسان في حفظ اللسان.

لماذا فصل بينهما؟ لكمال الانقطاع، لا مناسبة بين الجملتين.

ويُنسب لعلي ﷺ أنه قال: دع الإسراف مقتصدًا، واذكر في اليوم غدًا، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدِّم الفضل يوم حاجتك.

هنا فصل أم وصل؟ وصل لأن هذه الجمل كلها تتفق من جهة الإنشاء، وكذلك تتفق من جهة وجود المناسبة بينها.

ثم قال: الإيجاز والإطناب والمساواة.

فلكل مقام مقال، والبلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

فالكلام يقع على صور ثلاثة:

إما أن يكون الكلام موجزًا.

وإما أن يكون فيه إطنابٌ.

وإما أن يكون الكلام على قدر المعنى.

ولا يخرج عن هذه الصور الثلاثة.

فالمساواة: أن تكون المعاني بقدر الألفاظ والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض.

إن زادت كان إطنابًا، وإن نقصت كان إيجازًا.

كقول طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنتَ ويأتيك بالأخبار من لم تُزوِّدِ

أي ما كنت جاهلاً به، ومن لم تزوده.

***

وكقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهم أمور مشتبهات»، فالكلمات على قدر المعاني، فهذا يسمى بالمساواة.

وأما الإيجاز: فجمع المعاني المتكاثرة في لفظ قليل، ومع ذلك هو بيِّن فصيح.

والإيجاز نوعان: إيجاز قصر وإيجاز حذف.

فإيجاز القصر يكون بتضمين العبارات القصيرة معاني قصيرة من غير حذف، يعني كلمات قليلة جدًا وتحمل المعاني الكثيرة من غير حذف، فلا يكون هناك حذف في الجملة.

قال عبد القاهر: هذا الباب باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، يعني أن توجِز بكلمات أو أن توجز بالحذف، هذا الباب عمومًا.

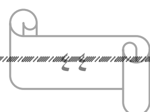
إيجاز بالقصر: كلمات قليلة جدًا تضمنت سائر المعاني المطلوبة، قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فهذه الكلمات قد جمعت مكارم الأخلاق كلَّها.

ومثله كذلك قول الله ﷻ: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، فمن عرف أنه يُقتل كفَّ عن القتل فأوجب ذلك حياة الناس، وقد عنى علماء البلاغة والمفسرون بالموازنة بين التعبير القرآني: "ولكم في القصاص حياة"، وبين الحكمة العربية: "القتل أنفى للقتل"، وأورد السيوطي في كتابه: "الإتقان" عشرين وجهًا، لتفضيل العبارة القرآنية.

وهناك كذلك: إيجاز بالحذف، بأن يكون هناك حذف لكلمة أو جملة أو أكثر من جملة مع القرينة التي تعيِّن هذا المحذوف.

كلمة كقوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢]، فالمقصود: واسأل أهل القرية، واسأل العير، أي واسأل أصحاب العير.

أو جملة كقول الله تعالى في حكاية موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع الرجل الصالح: ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٤، ٢٥].



فلو نظرت في هذه الآيات لوجدت حذف جُمل دل عليها السياق: أنها ذهبت إلى أبيها، وقصت على أبيها ما حدث من موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أنه سقى لهما، ومن أنه تولى بعد ذلك إلى الظل، ثم قال: اذهبي إليه فائتِ به، فجاءت... فكل هذه الجمل حُذفت ودل عليها السياق، فهنا إيجاز بالحذف.

وكذلك قول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، فهذا كذلك إيجاز بالقصر، قال: أولئك لهم الأمن، فدخل تحت هذه الجملة كل أمر محبوب وانتفت بها صنوف المكاره.

هل الأمن في الدنيا؟ هل الأمن في الآخرة؟ ما المقصود بالأمن؟ هل الأمن في الأولاد والأموال وفي الأهل؟ فتدخل تحتها معانٍ كثيرة جدًا.

ومثل هذا كثيرٌ في كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو الذي أُوتِي جوامع الكلم.

وأما الإطناب وهو آخر هذه الرسالة:

فهو مصدر أطنب إذا زاد في الكلام وبالغ فيه.

وأما في الاصطلاح: فهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة.

قال الله تعالى عن موسى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ [طه: ١٧]، كان يكفي لموسى أن يقول: عصا، أن يحذف المبتدأ، ماذا قال موسى؟ ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ [طه: ١٨]، فأطنب موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فذكر العصا، وذكر وصفها، وفضائلها، ثم جاء بجملة يريد منها الإطناب بعد ذلك، قال: ولي فيها مآرب أخرى، فكأنه توقع أن يقول له ربه: وما هذه المآرب؟ فيقول: يا رب كذا وكذا وكذا، لشرف هذا المقام وهو الحديث مع الله تبارك وتعالى.

فالإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة.

كيف يكون الإطناب؟

يكون بأمور:

ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص، أن يُذكر اللفظ العام أولًا ثم بعد ذلك يُذكر اللفظ الخاص.

قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، والصلاة الوسطى من ضمن الصلوات، فذكرها وعطفها على العام لمزيد فضلها وللعناية بها.

وكذلك ذكر العام بعد الخاص لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص، أن يذكر الخاص أولًا ثم بعد ذلك العام.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨].

قال رب اغفر لي، وهو من المؤمنين، ولوالدي، وهما من المؤمنين، ولمن دخل بيتي مؤمنًا، ثم قال: وللمؤمنين والمؤمنات، فخص أولًا ثم بعد ذلك عمَّ.

وكذلك الإيضاح بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال لتقرير المعنى في ذهن السامع، لأن النفس إذا أُلقي إليها الأمر مجملًا تطلعت وتشوَّفت لمعرفة التفاصيل، قال الله ﷻ عن قوم لوط: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦]، وهذه الجملة أفادت حكمًا.

ما ذلك الأمر؟ ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]، فأوضح بعد أن أبهم.

وكذلك التكرار لداعٍ: كتمكين المعنى من النفس، وكالتحسر، وكطول الفصل.

التكرار لداع: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤].

قال الله ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٧ – ٩٩].

كرر ذكر الأمن أكثر من مرة، للإنذار، فيكرر لفائدة، ليمكِّن هذا المعنى من النفس.

وكالتحسر وكطول الفصل، قال تعالى في طول الفصل: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]، فكرر قوله: إن ربك.

وكذلك الاعتراض، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، فهذا يسمى بأسلوب الاعتراض، قال الله ﷻ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧].

والجملة خارج القرآن: ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون، فجاء بهذه الكلمة (سبحانه) التي تدل على الاعتراض، تنزيهًا لله تبارك وتعالى عن ذلك.

قال النابغة الجعدي وهو يهجو:

لـو أنَّ البـاخلين وأنـتَ مـنهم ... رأوْك تعلموا مِنك المطالا

***

أين أسلوب الاعتراض هاهنا؟

وأنت منهم، فذكره مسارعة بالذم، يعني ما أخره، سارع به، قال:

لـو أن البـاخلين وأنـت مـنهم ... رأوك تعلمـوا منـك المطـالا



وكذلك من الإطناب التذييل، تشبيهًا له بالذيل للثوب أو غيره، وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيدًا لها، وهو قسمان:

ما يجري مجرى المثل إن استقل بمعناه، يعني هذا تذييل لجملة أو جمل، ثم بعد ذلك صار يجري مجرى المثل، قال الله ﷻ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، فهذه الجملة: إن الباطل كان زهوقًا تُسمى بالتذليل وهي من أساليب الإطناب.

فأنت في بعض المواضع تقول: إن الباطل كان زهوقًا، ولا تحتاج أن تذكر الجملة التي قبلها.

ومنه غير جارٍ مجرى المثل وهو ما لم يستغني عما قبله، قال تعالى عن قوم سبأ: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٦، ١٧]، فقوله: وهل نجازي إلا الكفور لا تُفهم استقلالًا، ولكن لا بد من ذكر الجمل التي قبلها.

وأخيرًا من أساليب الإطناب:

الاحتراس: ويكون حينما يأتي المتكلم بمعنى يمكن أن يدخل عليه فيه لوم.

يعني يذكر كلامًا لو لم يأت بهذه اللفظة ليحترز ويحترس فقد يُلام، فيفطن لذلك ويأتي بما يُخلِّصه منه، يعني من هذا اللوم.

ويسميه علماء البلاغة كذلك بالتكميل، ومثاله كثير في الكتاب والسُّنة:

فمن الكتاب: قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥].

قال: غير أولى الضرر، فجيء بها لدفع توهم أن المعذور داخل في عدم الاستواء.

وكذلك قول الله ﷻ لموسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل: ١٢]، حتى لا يتوهم أن هذا البياض إنما هو مرض كبرص أو بُهاق أو غير ذلك.

وكذلك في قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الحديث القدسي: «فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم»، لماذا جاء بذلك؟ احترازًا من أن يتوهم من أن الله ﷻ لا يعلم ذلك.

فهذه بعض الأساليب التي تدل على الإطناب، وغيرها كثير.

ولكن نكتفي بهذا القدر.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.

أبو عائش محمد سميح فاضل فضل الشيخ
غفر الله له الزلات، ورزقه حسن الخاتمة عند الممات